● المبحث الأول: طبيعة العلاقات بين الأكثرية

إن النصوص المحورية التى تحدد طبيعة العلاقات بين الأغلبية من بنى البشر هى:

١- ﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٠ - ٨٣].

٢- ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾ [الحجر ٣٩].

٣- ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٦٣].

٤- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٨- ١٢٩].

وهذه الآيات تبين فى مجال الأكثرية ثلاثة أنواع من العلاقات:

علاقة قائمة على الكفر، وعلاقة قائمة بين الإنسان والشيطان، وعلاقة قائمة بين الإنسان والجن، ويمكن اختصارها فى علاقتين، علاقة بشرية/ بشرية، وعلاقة بشرية/ جنية شيطانية، وسنبين ذلك فى مبحثين، يتناول الأول العلاقة الأولى ويتناول الثانى العلاقة الثانية.

● **المطلب الأول: العلاقات بين أهل الكفر من البشر:**

الولاء بين أهل الكفر تحدده آيات متعددة منها قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُم أَوْلِيَاء بَعْضٍ** ﴾ [الأنفال: ٧٣]، وهذه العلاقات تبدأ بالسلوك والموالاة الفردية الناجمة عن الانسجام في الطبائع والأفكار والثقافات وتصوراتهم لشؤون الحياة وتبادل المصالح ولو على حساب القيم والمبادىء، وتنتهي بالعلاقات الدبلوماسية والسياسية والدولية، وما يترتب عليها من حروب باردة وحارة.

والنص الذي يحدد مشكلة الأكثرية على مستوى العلاقات بين أهل الكفر هو قول الله تعالى: ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [المائدة: ٨٠ – ٨٣].

هذه الآيات تحدد ولاء الأكثرية من اليهود فالضمير «منهم» يعود على اليهود في الآية السابقة من السياق[1]، وتكشف عن مآل من يربط علاقته بهم، وتبين طبيعة العلاقة ونوع القاعدة التي تربط هذه العلاقة، وهي «الكفر» و«الفسق»، ثم تقسم الآيات أهل الكتاب من حيث علاقتهم العاطفية بالمسلمين إلى قسمين، فريق أشد عداوة لهم، وهم اليهود، وفريق أقرب مودة من هؤلاء، وهم النصارى، وهذا الفريق الثاني قد يكون منه من يدعو الله ليكتبه «مع الشاهدين» من المسلمين، نتيجة إيمانهم بما نزل على محمد ﷺ.

هذا مجمل ما تشير إليه الآيات من العلاقات بين أهل الكفر والإيمان من البشر، وسنحلل الآن الآية لدراسة الظاهرة من حيث هي مشكلة اجتماعية وسياسية تقوم على المرتكزات العقدية بالدرجة الأولى والمصلحية بالدرجة الثانية، والأسئلة الأساسية المطروحة هي:

---

(١) المائدة: ٧٩.

١- ما الذى تعنيه العبارة: ﴿ترَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

٢- ما الذى ينجر عن طبيعة هذا الولاء؟

٣- ما الدافع لهذه العلاقة؟ أهو العقيدة أم المصالح؟

٤- ما هى درجات الولاء من جهة العاطفة؟ وما الذى ينجر عنها؟

إن العبارة: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من سورة المائدة، وهى سورة مدنية، نزلت فى سياق الحديث عن غلو أهل الكتاب واتباعهم للأهواء وعملهم على إضلال كثير من الناس عن سواء السبيل ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

والسياق الذى وردت فيه الآية - موضوع الدراسة - يُعنى كثيرا بمشكلة الأكثرية بصفة عامة، أكثرية فى الإضلال: (وأضلوا كثيرا) وأكثرية فى إعلان الولاء للكفار ﴿كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [المائدة: ٨٠]، وأغلبية فى الفسق ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١].

لكن الذى يهمنا فى هذا الموضوع هو العلاقات،وهى علاقات قائمة على الولاء للذين كفروا ، وعبارة ﴿وترى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تبين أن ولاء الأكثرية من اليهود يكون للكفار، وهذا الولاء له أسبابه العقدية وهى المشاركة العقدية، والتقارب فى التصور للكون والحياة، واتباع الأهواء الضالة ﴿وَلا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾.

وسياق الآيات يؤكد كون العقيدة سببا فى ولاء أكثر اليهود للكفار، إذ ينفى عليهم الإيمان بالله والنبى والكتاب المنزل عليه، ويجعل الولاء للكفار دليلا على عدم الإيمان بكل ذلك ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ قال القرطبى: «يدل بهذا على أن من اتخذ كافرا وليا فليس بمؤمن إذا اعتقد اعتقاده ورضى أفعاله»[١]. فالدافع

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٥٤.

لتولى الذين كفروا ليكثر حزبهم إنما هو هذه العلة المركبة من عقيدة الكفر وكثرة الفسق «هذه هى العلة، إنهم لم يؤمنوا بالله والنبى، إن كثرتهم فاسقة، وإنهم يتجانسون إذن مع الذين كفروا فى الشعور والوجهة فلا جرم يتولون الذين كفروا ولا يتولون المؤمنين»(١).

والولاء الذى تقيم عليه يهود سياستها ينطبق على سلوكهم فى كل وقت وحين، مما يدعو إلى التعجب من عمق أسرار القرآن الكريم وعجائبه المدخرة للجماعة المسلمة فى كل وقت، لقد كان اليهود يتولون المشركين ويؤلبونهم على المسلمين، وقد تجلى هذا كله على أتمه فى غزوة الأحزاب، واستمر إلى اللحظة الحاضرة التى ما قامت فيها دولة إسرائيل فى أرض فلسطين الجريحة أخيرا إلا بالولاء والتعاون مع الكافرين الجدد الماديين، إنهم يتعاونون مع المشركين والملحدين كلما كان الأمر أمر المسلمين(٢).

إن هذا التجانس القائم بين اليهود والكفار بصفة عامة يتحكم فيه - كما بينت الآية - عامل العقيدة وعامل حب الفسوق والإقبال عليه، بدافع تلبية الغرائز البهيمية والحاجات والمصالح الاقتصادية، وهو تجانس يتجاوز العلاقة بين اليهود والكفار إلى أهل الكفر بصفة عامة، متى كان الأمر يتعلق بالمبادىء الإسلامية خاصة والصراط المستقيم عامة، ولذلك كانت الآية: ﴿**تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ تعبر بصيغة الماضى وبدلالة الفعل «ترى» للدلالة على ثبات هذه الصفة فى الكفار وعلى وضوحها حتى صارت بادية للعين المجردة، إذ يعقدون علاقاتهم دائما تبعا لأسباب الانسجام الثقافية والمادية، وما ينجر عنهما من مصالح مشتركة.

وقد انجر على هذا الولاء مواقف عاطفية دعمت العلاقات السياسية تدعيما قويا تمثلت فى عداوة المسلمين ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾ [المائدة: ٨٢]، فالآية تبين أن المتدبر للعلاقات بين الناس فى

---

(١) فى ظلال القرآن: ٢/٦/٩٥٢. - (٢) فى ظلال القرآن: ٢/٦/٩٥٢ - ٩٥٣.

هذا الكون يجدها تتكاثر وتبنى على هذا الموقف العاطفى الذى أساسه اختلاف العقائد، فالذين هم أشد عداوة لأهل الإيمان هم اليهود، وتاريخ مكائدهم للإسلام يكشف عن كثرتها، بدءا من تحالفهم مع المشركين لمحاربة الرسول ﷺ، إلى الحرب النفسية والمادية والأخلاقية التى أعلنها يهود العصر مثل فرويد وماركس، مرورا بالمكائد التى قاموا بها لإسقاط دولة الخلافة فى تركيا، تلك التى بدأت بعزل الشريعة عن الحكم واستبدال الدستور بها فى عهد السلطان عبدالحميد ثم انتهت بإلغاء الخلافة جملة على يدى الأحمق أتاتورك الذى اتخذ من اليهود مستشاريه(١).

ولعل النصارى الحقيقيين - غير المزيفين الذين هم فى الحقيقة ملحدون وكفار - لهم مواقف عاطفية مع المسلمين ذات بعد حضارى، يختلف عن الوحشية التى ترتسم على جبين المشركين والكفار واليهود، كالتى تلاحظ على أسلوب الصليبية والوثنية الهندوسية والصهيونية العالمية.

والقرآن ينبه على هذا الموقف الذى شكل عاطفة النصارى الحقيقيين الذين يوجدون فى كل وقت وحين، ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ**﴾ [المائدة: ٨٢] فالنصارى يشكلون - بناء على هذه المودة - مع المؤمنين وحدة، ولكنها ستكون ممثلة للأقلية كما سنعرف من بعد، فما سر اختلاف النصارى الحقيقيين عن اليهود والكفار؟

الآيات تبين علة وسر الاختلاف بقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [المائدة: ٨٢ - ٨٣].

هكذا تبين الآية بوضوح علة مباينة موقف النصارى الحقيقيين من موقف الكفار واليهود والنصارى المزيفين، فالعلة هى الوعى أولاً، فهم يتشكلون من (قسيسين ورهبانا) والقسيس العالم، وأصله من قس إذا تتبع الشىء فطلبه،

---

(١) فى ظلال القرآن: ٢/٦/٩٦٢.

والقس أيضا رئيس من رؤساء النصارى فى الدين والعلم[1]، والرهبان من رهب يرهب أى يخاف الله[2].

أما العلة الثانية فهى التواضع ﴿ **وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ** ﴾، وعدم استكبارهم هو الذى ساعدهم على السماع للحق، ومن ثم الانصياع له والاتباع لأهله، والإيمان بنبى أتاهم بما يعرفون من الحق في الإنجيل ﴿ **وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ** ﴾، وإذا كانوا قد عرفوا موضع الحق من الباطل بسبب الوعى والتواضع فإن ذلك لا يقود إلا لشىء واحد وهو الانضمام إلى صف أهل الحق: ﴿ **يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ أى أكتبنا مع أمة محمد ﷺ الذين يشهدون بالحق، ومعنى فاكتبنا فاجعلنا فى صفهم[3].

والسيرة النبوية تبين لنا نماذج من هذا النوع متمثلا فى التجانس وكثير من العلماء الذين حضروا جلسة الحوار الذى دار بينه وبين المسلمين الذين هاجروا من مكة إلى الحبشة خوفا من المشركين وفتنتهم، إذ «أرسل إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم أمر جعفر بن أبى طالب أن يقرأ عليهم القرآن فقرأ سورة مريم فقاموا تفيض أعينهم من الدمع».

وعلى الجملة فإن الدافع إلى الانضمام إلى أهل الإسلام والإيمان كان هو «الوعى» الذى تميز به القساوسة والرهبان من جهة و«التواضع للحق» من جهة ثانية، وهو ما ترشد إليه الآيات كقاعدة أساسية فى الولاء ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨] فالعلم هو قائد الحق، يقود العقول إلى الخير، ويقود القلوب إلى خشية الله وطاعته أما الجهل والعناد والمكابرة فإنها لا تزيد الإنسان إلا التصاقا بمن يشاكله، ولذلك قلّ حزب الله وكُثر حزب الكفر ﴿ **تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا** ﴾ ولكن نتيجة هذا الولاء على كثرته لا يحقق لأصحابه أى خير، بل يقدم لهم الشر كل الشر إنه سخط الله فى الدنيا، والعذاب فى الآخرة،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ٢٥٧. (٢) نفسه: ٦/ ٢٥٨.

(٣) نفسه: ٦/ ٢٥٩.

لذلك عقب على الآية بقوله: ﴿ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

المطلب الثاني: العلاقات بين أهل الكفر من البشر والشياطين والجن.

لاحظنا فى المبحث السابق أن العلاقات بين أهل الكفر، كانت تتحكم فيها العقيدة والمصالح المشتركة والفسق، وأن هذه العلاقات سواء الدبلوماسية منها أو الفردية لا تقود إلا إلى الشر، وأعظمه سخط الله على تحزب هذه الفئة من البشر، وسنقف الآن عند العلاقات الخفية التى تقوم بين البشر والشياطين والجن، وهذه العلاقات يتطلب فهمها شيئا من الإيمان، لأنها تختلف عن العلاقات الدبلوماسية أو الفردية التى تجرى بين البشر لسهولة الدلالة عليها بأمثلة حية من التاريخ البشرى.

والنصوص التى نستدل بها على هذه الظاهرة هى:

١- ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٨ - ١٢٩].

٢- ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النحل: ٦٣].

هذان النصان ورد فيهما لفظ (الولاء) صراحة ليدل على نوع من العلاقات التى تربط أهل الكفر وتقوى شوكتهم وتكثر عددهم، أما النص الأول فيكشف عن العلاقة بين الإنس الذين استكثر منهم الجن، ويبين أن الإنس لا يخفون هذه العلاقة ولا ينكرونها، بل يعطون التعليل وهو الاستمتاع ﴿ اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ ﴾.

وأما النص الثانى فيدل لفظ (أمم) على الكثرة التى زين لها الشيطان طريق الضلال حتى صار (وليهم اليوم) وانقادوا جميعا إلى (عذاب أليمٌ) وكان مآلهم الخسران المبين نتيجة هذا الولاء كما يبين قوله تعالي: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا

مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١١٩]، ولعل أعظم خسران هو تخلى الله عنه وتركه للشيطان عقابا له كما يبين قوله تعالى على لسان سيدنا وحبيبنا إبراهيم الخليل: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ [مريم: ٤٥] وقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٧] وبذلك يستمرون على الضلالة والعمى وهم يظنون أنهم على شيء: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٠].

ولعل أى نظرة سريعة لطبيعة هذا الولاء تدرك أنه على علاقة كبيرة بطبيعة الولاء كما تبين فى المبحث السابق، إذ الكافرون دائما عنصر مشترك، ومن ثم كانت العقيدة مرتكزا أساسيًا فى هذه العلاقات جميعا ثم (المصالح) التى عبر عنها النص هنا بلفظ (الاستمتاع)، والعبارة: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩] تبين أن العلاقات ارتسمت معالمها وتوطدت بسبب الانسجام فى الأفعال والثقافات، فهم يتوالون (بما كانوا يكسبون) وربما أيضا بما يربط بينهم من علاقات ثقافية: ﴿ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢١]، هكذا يتوالى الناس مع بعضهم بأسباب ويتوالوا مع الشياطين بأسباب، ثقافية وفعلية، قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾: «إنما يولى الله الناس بأعمالهم فالمؤمن ولى المؤمن أين كان وحيث كان والكافر ولى الكافر أينما كان وحيث كان، ليس الإيمان بالتمنى ولا بالتحلى»(١)، وقال قطب: «تجعل بعضهم أولياء بعض بحكم ما بينهم من تشابه فى الطبع والحقيقة، وبحكم ما بينهم من اتفاق فى الوجهة والهدف، وبحكم ما ينتظرهم من وحدة فى المصير، وهو تقرير عام أبعد مدى من حدود المناسبة التى كانت حاضرة إنه يتناول طبيعة الولاء بين الشياطين من الإنس

(١) تفسير القرآن العظيم: ٢ / ١٧٦.

والجن عامة، فإن الظالمين وهم الذين يشركون بالله فى صورة من الصور يتجمع بعضهم إلى بعض فى مواجهة الحق والهدى ويعين بعضهم بعضاً فى عداء كل نبى والمؤمنين به، إنهم فضلا على أنهم من طينة واحدة مهما اختلفت الأشكال، هم كذلك أصحاب مصلحة واحدة تقوم على (الايهام) باغتصاب حق الربوبية على الناس، كما تقوم على الانطلاق مع الهوى بلا قيد من حاكمية الله، ونحن نراهم فى كل زمان كتلة واحدة يساند بعضهم بعضاً على ما بينهم من خلافات وصراع على المصالح إذا كانت المعركة مع دين الله ومع أولياء الله، فبحكم ما بينهم من اتفاق فى الطينة واتفاق فى الهدف يقوم ذلك الولاء، وبحكم ما يكسبون من الشر والإثم تتفق مصائرهم فى الآخرة على نحو ما رأينا فى المشهد المعروض، وإننا لنشهد فى هذه الفترة ومنذ قرون كثيرة تجمعا ضخما لشياطين الإنس من الصليبيين والصهيونيين والوثنيين والشيوعيين على اختلاف هذه المعسكرات فيما بينها، ولكنه تجمع موجه إلى الإسلام وإلى سحق طلائع حركات البعث الإسلامى فى الأرض كلها، وهو تجمع رهيب فعلا تجتمع له خبرة عشرات القرون فى حزب الإسلام مع القوى المادية والثقافية مع الأجهزة المسخرة فى المنطقة ذاتها للعمل وفق أهداف ذلك التجمع وخططه الشيطانية الماكرة وهو تجمع يتجلى فيه قوله تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾[1].

* * *

(١) فى ظلال القرآن: ٣/٨/١٢٠٨.